

حين يعود الماضى

نحن نعيش أجمل أيامنا

وأقساها أيضا

معتقدين أن الحياة كلها

هى ما نمر به فى يومنا الحاضر

غير مدركين أن الأحباب ،

والأصدقاء ، والأشياء ..

تتفلت منا ، كما الماء من بين الأصابع !

**

وبمرور الوقت

نجد أنفسنا قد انتقلنا إلى مرحلة أخرى

بل إلى حياة أخرى

تمتلئ هي أيضا بالأحباب ،

والأصدقاء والأشياء ..

وفى غمرة هذه الحياة الجديدة

ننسى الماضى

أو بالأحرى نضعه فى صندوق

ونلقى به فى ركن مهجور من الذاكرة

وأحيانا عندما نشعر بشئ من الحزن ،

أو الوحدة ، أو الكآبة ..

نفتح الصندوق

ونخرج ما يحتوى عليه من التذكارات ،

والخطابات ،

والمصور القديمة ..

ومن العجيب أنها صور حية

والوجوه فيها قريبة من القلب

ونحن نتذكر جيدا : متى أخذت ؟

ومن التقطها ؟ وأين كان المكان ؟

ومن شدة إعزازنا لها .. نكاد نقبلها

لكننا ندرئك مع الأسف

أنها تنتمي إلى زمن ولى ، ولن يعود !

عندئذ نعيدها بكل حرص إلى مكانها

ونرجع لممارسة حياتنا الحاضرة .

**

من منا لا يضع الماضي في قلبه ؟!

وأحيانا يحمله على ظهره ؟!

والغريب أن الكثيرين ما زالوا يحسبون

أن الماضي ليس سوى بناء هش

مكون من عدة رسائل أو صور

يمكن الماطاحة بها في الهواء

أو القضاء عليها بحريق

لكنهم يفاجأون

بقوة ومتانة هذا البناء

وصلابة أساسه وأعمدته

ومقاومة كل حجر فيه ضد الانكسار !

**

إن الماضي حين يخرج من مكمنه

وتدب فيه الحياة من جديد

يتحول إلى وحش كاسر

يسحق بقدميه الفولاذيتين

كل ما يعترض طريقه

من أبنية الحاضر ، وقصور المستقبل

**

عندما يعود الماضي بقوة

لا يحب أن يشاركه أحد أو شيء

إنه يستولى على الإنسان كله

بقلبه ، وعقله ، وجسده ..

بل إنه يسعى إلى امتصاص روحه

لكي يتركه بعد ذلك هيكلا عظيما

وقد يدفعه إلى القيام بأفعال

يراهم الناس جنونا

لكن الحكماء ، الذين قدرون لكل مذنب عذرا

يعتبرونه مريضا يستحق العلاج

وقد يرحمه الله ، فيمن عليه بنعمة الشفاء !
